

المعرض الأول لشذا شرف الدين يمكن وصفه بالأصالة. ثمّة فكرة هاربة تنتظر من يقتنصها، صورة البراق، الدابة التي صعد عليها الرسول إلى السماء بقيت كما تخيلها المصورون المسلمون دهرًا بدون أن يلاحظ كثيرون نبع الخيال الكامن فيها. لاحظت شذا أن البراق ليس حيواناً ولا إنساناً ولا ملاكاً. وليس ذكراً ولا أنثى، أي انه لا شيء وكل شيء. انه عابر بين الأشياء والحيوانات والملائكة والبشر والذكور والإناث. هكذا أمكن لشذا أن تضع ما تشاء محل وجه وجسم «أبو الهول» الإسلامي.

كان للبراق من القداسة ما لا زيادة لمستزيد فيها. لذا كان تجريده من القداسة أجدي، هكذا ومخيلة باروكية امتلأت مونتاجاتها بظلال من التاريخ، بزخارف من كل نوع. بخلفيات من العصور الفنية. امتلأت، أقول احتشدت، حتى لم يبق ستمتر فيها فارغاً. كان هذا الرعب من الفراغ سمة المنمنمة العربية والإسلامية ولوحات شذا مسكونة بهذا المبدأ إلا أنه يحيلنا هذه المرة على تلاوين المدن والعصر، إنها تؤثر على الفراغ الامتلاء والتظاهرة الصارخة والاحتفال وها هي لوحاتها منمنمات حديثة او ما بعد حديثة، إذا شئنا الدقة، فورااء الوجه الأيقوني ثمّة عالم تاريخي ويومي يتململان. وهذا ما يفتح الطريق للامقدس بل لما يُعتبر في الأخلاق العامة انحرافاً وانحلالاً.

هكذا نرى لالتباس الذكر بالأنثى إحياءات مثليّة وكان يمكن لالتباس الإنسان بالحيوان أن يكون مصدر خيال آخر. معرض شذا سياحة بصرية ويسعنا أن نجد في هذا الاقتباس من فن شبه شعبي التباس الشعبي بتاريخ الفن وكلاسيكيه على وجه التدقيق. سنجد هنا زواجاً حقيقياً بين الفنون وتوليداً من التراث والفن الغربي وقلما نجد زواجاً «واعياً» بهذا القدر من النجاح.